

حديث صحافي للأمين العام لحركة "الجهاد الإسلامي في فلسطين"*

بشأن اتفاق أوسلو وما بعده

دمشق** [مقتطفات]

■ إن حركتكم ترفض اتفاق أوسلو. هل يمكن إسقاط هذا الاتفاق وكيف، مع الأخذ بعين الاعتبار الوزن الدولي والمسار العربي الراهن؟

□ اتفاق أوسلو لم يأت في سياق نضال وجهاد الشعب الفلسطيني، إنما جاء في سياق معاكس لنضال وجهاد هذا الشعب، فأكثر من 70 عاماً من النضال المستمر وعشرات الآلاف من الشهداء وأطول انتفاضة في التاريخ أكدت على أن الشعب الفلسطيني هو أكثر الظواهر حيوية في هذه المنطقة [.....]. هذا الاتفاق لا يتناسب مطلقاً مع حيوية وطبيعة الشعب الفلسطيني وتضحياته، ربما يتناسب مع رغبة فردية لياسر عرفات وليس مع طموح وإرادة القوى الفلسطينية المناضلة أو الشعب الفلسطيني.

من هنا فهذا الاتفاق يعاني من أزمة داخلية كبيرة، وهو بالتالي ساقط من خلال ما يحمله من مضمون رث وبائس وبفعل ضعف وموات آليات عمله الداخلية، قبل أن يكون ساقطاً من خلال آليات خارجية، ومن يلحظ المسار خلال أكثر من عام بعد توقيع الاتفاق يتأكد من هذه الحقيقة، وكيف أن الاتفاق يتلاشى على الرغم من ما صنعه من أوضاع جديدة. إنه يستمر فقط بسبب هذا الضغط والدعم الدولي الكبير، الدعم الأميركي والدعم الأوروبي، والدعم الإقليمي العربي الذي يحفظ شيئاً ضعيفاً وهشاً وربما أقول ميتاً، يحفظه كي يستمر إلى هذه اللحظة.

أي تغيير في طبيعة الدعم الخارجي الأميركي . الغربي . الإقليمي . الإسرائيلي يمكن أن يسقط هذا الاتفاق قتيلاً وبسرعة، لأنه فقط يعتمد على آلية خارجية. من الداخل لا يوجد أي فرصة للنجاح [.....]. في الوقت نفسه نحن مستمرون في نضالنا ومعركتنا، وإسقاط الاتفاق يجيء في سياق هذا النضال وهذا الجهاد، وأنا أعتقد أن الحركة الشعبية الانتفاضية والحركة الشعبية المسلحة منذ توقيع الاتفاق حتى الآن تساهم بفاعلية بقتل هذا الاتفاق المشؤوم.

[.....]

■ لكن الحقيقة أن هذا الاتفاق مكرس من الأمم المتحدة ومؤسسات دولية كبيرة، وسقوط عرفات لا يعني سقوط الاتفاق. سقوط أنور السادات لم يؤدِ إلى سقوط اتفاق كامب ديفيد، والشعب المصري يرفض حتى الآن عملية التطبيع، ولم يؤدِ ذلك إلى سقوط كامب ديفيد. بقدر ما توجد ديناميكية نضالية، يوجد أيضاً احتمال خلق بدائل لشخصيات سياسية تستمر في حمل اتفاق أوسلو.

□ سقوط الاتفاق، أو سقوط عرفات، لا يعني سقوط مشاريع التسوية بالفعل لأن الأمة العربية تعيش مرحلة انحطاط حضاري أو تعيش مرحلة تراجع استراتيجي، وبالتالي لا نتوقع بالمقومات الحالية أن نحقق اختراقاً استراتيجياً في مواجهة التحدي الغربي الصهيوني، وتبدو عملية مواجهة اتفاقات كهذه (كامب ديفيد أو أوسلو) بالنسبة للبعض نوعاً من إضاعة الوقت بسبب المسار التاريخي المتردي الذي تعيشه الأمة في مثل هذه المرحلة. نحن نقول إن علينا أن نبذل أقصى الجهد لتحقيق الصمود والثبات وإيقاف هذا التراجع قدر الإمكان، لأن هذا سيكون الشرط الأولي لإمكان تغيير إيجابي مستقبلي بعكس التغيير السلبي القائم حالياً. فالذين لا يرون جدوى من إسقاط الاتفاق ولا يرون معنى لإسقاط الاتفاق هم الذين يبنون رؤيتهم وتصورهم للمستقبل على أساس استمرار الغزو الأميركي الكبير للمنطقة. لكن هذا الغزو طارئٌ واستثنائي، وليس مستمراً حتى نبني عليه رؤيتنا لمستقبل المنطقة [.....].

* فتحي الشفاقي.

** "السمير" (بيروت)، 1995/1/28. وقد أجرى الحديث كمال إبراهيم.

■ هناك تخوفات مشروعة من نشوب اقتتال فلسطيني . فلسطيني. ما هو مدى السيطرة ومنع نشوب هذا الصراع؟

□ مسألة الاقتتال الفلسطيني . الفلسطيني، بمعنى نشوب حرب أهلية، مسألة مستبعدة لأن مقومات الحرب الأهلية غير موجودة في فلسطين وغير موجودة في قطاع غزة أكثر. هناك انسجام قومي عرقي، هناك انسجام ديني مذهبي، يجعل الناس كأنهم في النهاية أبناء عائلة واحدة. النموذج الأفغاني على سبيل المثال هو تعدد أعراق وتعدد مذاهب إضافة للخلافات السياسية. هذا غير موجود داخل فلسطين. الصورة تصبح أوضح عندما نجد في العائلة الواحدة في أبناء الأب الواحد من ينتمون إلى كل الأحزاب الموجودة. وبالتالي مخاطر نشوب حرب أهلية بالمعنى التقليدي أو الكلاسيكي غير واردة، ومستبعدة جداً في فلسطين بشكل عام وفي قطاع غزة بشكل الخاص. ربما تحدث حوادث هنا أو هناك مثلما حدث في المجزرة الأخيرة، أو اغتيالات، هذه مسائل غير مستبعدة ليس لأن المعارضة تريد ذلك، وأنا أؤكد أن المعارضة ضد أي اقتتال داخلي ولا ترى فيه أي مصلحة وضد أي نوع من الاغتيالات. الخوف هو من السلطة الضعيفة، التي تعودت على إشعال الفتنة على مدى تاريخ طويل وإشعال صراعات داخلية وتقسيم الناس والتنظيمات، قد تقدم على مثل ما أقدمت عليه في 18 تشرين الثاني [نوفمبر] الماضي، ولكن في تقديري أن هذا ستمت مواجهته في حال تكراره بالخروج الشعبي والغضب الشعبي وليس بالمواجهة الفصائلية [.....].

[.....]

■ ما هي نقاط تمايزكم عن بقية الحركات الإسلامية في المنطقة العربية؟

□ أولاً، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين هي حركة إسلامية فلسطينية مقاتلة تبلورت في مطلع الثمانينات، بعد أن كانت حوارات فكرية وسياسية منذ منتصف السبعينات، والحركة منذ حواراتها الأولى كانت عبارة عن قوة تجديد داخل الفكر الإسلامي، وقوة تجديد داخل الحركة الإسلامية نفسها، منذ البداية، الشبان الذين قادوا هذه المحاورات كانوا يملكون حساً تاريخياً ناضجاً، كما كانوا يحاولون دراسة وفهم العالم بجدية، وبالتالي امتلكوا وعياً ينطبق على العالم، ومن خلال هذا الوعي خرجت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كقوة تجديد داخل الفكر الإسلامي، وداخل الحركة الإسلامية ومن هنا جاءت المسألة الفلسطينية في صلب هذا الوعي التاريخي الإسلامي لأنه قبل ظهور حركة الجهاد الإسلامي كان الإسلاميون في فلسطين وفي المنطقة ينظرون للقضية الفلسطينية والجهاد في فلسطين كموضوع مؤجل وكأن الموضوع وطني بالدرجة الأولى أي مطروح من قبل أطراف وطنية، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين جاءت لحل الإشكالية، حل إشكالية إسلاميين بلا فلسطين ووطنيين بلا إسلام، ورفعت فوراً شعار القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية وللأمة الإسلامية وكان هذا من شعارات التجديد البارزة كما قلت داخل الحركة الإسلامية.

[.....]

■ الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة يطرح إشكالية العلاقة مع عرب الـ 48 وهي معادلة التوفيق بين الجنسية الإسرائيلية والانتماء الوطني لهم. ما هي سياستكم بالنسبة لهذه المسألة بالذات لحساسيتها وتأثيراتها وانعكاساتها؟

□ هناك حوالي مليون فلسطيني في الأراضي المحتلة عام 48. اتفاق أوسلو تجاوزهم وقفز عليهم ونسيهم كلياً، مع أن هذه الفئة بالنسبة لنا يجب أن تكون محل اهتمام كبير، في سياق تعقيدات نضالنا ضد المشروع الصهيوني. وأنا أأمل أن تصحو الفصائل الفلسطينية والقوى العربية والإسلامية وتتنبه لمغزى ومعنى وجود مليون فلسطيني في وسط الدولة العبرية حالياً، وأن يتم الاهتمام بهذا المليون فلسطيني الذي لا يوجد لهم حتى الآن جامعة واحدة أو مستشفى واحد. يجب بذل كل الجهد لتكريس الهوية العربية الإسلامية لهذا المليون، بحيث يستحيل تذويب هذا الكم الفلسطيني في الدولة العبرية، بالنسبة لنا سواء من منظور حضاري أو سياسي، يجب أن يبقى هذا الجزء امتداداً طبيعياً لشعبنا الفلسطيني.

■ الأردن أيضاً معرض بحكم الأثرية الفلسطينية لحرب أهلية، خصوصاً إذا سادت العشوائية في مقاومة نظام الحكم أو الاتفاق، كيف ترون التحرك الفلسطيني هناك؟

□ أولاً: ليس من عاقل يرغب في نشوب حرب أهلية في أي مكان من هذا الوطن العربي، ولكن مقومات هذا الأمر في شرق الأردن للأسف هي أكثر من مقوماته في داخل فلسطين، لأسباب معروفة [...] لكن على مستوى نظرة حركة الجهاد الإسلامي نحن نؤمن بوحدة الأمة العربية، بل بوحدة الأمة الإسلامية، ونحلم أن تكون كل بلاد الشام على الأقل في دولة واحدة، وهذا إن تحقق سيكون بداية الحل للأزمة القائمة، ونحن نرفض أن يكون هناك أي صراع داخل الأردن من منظور هذا فلسطيني وهذا أردني [...].

■ هناك فرضية أن المسار السوري . اللبناي سيصل يوماً ما إلى اتفاق.. هذا يطرح طوقاً كبيراً على المقاومة.

□ هذا هو أحد المعاني التي يراها الناس في اتفاق أو سلو وفي الاتفاقات الجارية وأنا أرى معنى مغايراً وهو أن ساحات الصراع والمعاركة تتسع الآن، في السابق كان الصهاينة يقاتلون الحكام وجيوش الحكام، اليوم هم وجهاً لوجه في مواجهة الشعوب إذا كان هناك من حاكم مستعد للخيانة فأنا أعتقد أن الشعوب لا تخون وستكون المواجهة الحقيقية مع هذه الشعوب، لذلك أرى أنه في مقابل الوجه المظلم للاتفاقات هناك وجه مضيء يجب أن نراه وأن نؤكد عليه وأن ندفع باتجاهه وهو أن ساحات المعركة، ساحات النضال والجهاد سوف تتسع، على كل التاريخ لا يكتبه الطغاة، التاريخ تكتبه أكثر الشعوب، والتاريخ يخضع للحقائق أكثر مما يخضع للأوهام ونحن كأمة حية نملك حقائق التاريخ، والعدو يملك أوهام القوة والغطرسة ويعيش على الأسطورة.

■ هناك تقدير رفيع لنضالات حزب الله وحركة "حماس" والجهاد، لكن تيارات أصولية أخرى تقود إلى تقسيم العالم العربي وخصوصاً وأنها تتصادم مع الأقباط في مصر، مثلاً، هذه معضلة لدى بعض التيارات الأصولية، ما مدى صحة هذا التوصيف ورأيكم فيه؟

□ أولاً أنا لا أتفق مع هذا التوصيف، وأعتقد أن الدولة الحالية هي الدولة الشمولية المستبدة التي خلفها لنا الاستعمار عندما رحل، وأن هذه الدولة في حالة تصادم مستمر مع الأمة ومع المجتمع، الحركة الإسلامية بالعموم هي التيار الرئيسي والأساسي في داخل الأمة سواء قصدنا بالحركة الإسلامية أحزاباً أو فئات أو جمعيات أو مفكرين وشخصيات إسلامية أو روح التدين الكبيرة داخل الأمة، وهذه الحركة هي التيار الرئيسي الذي يعاني وعانى من القمع على أيدي السلطات فالصراع ليس بين الدولة وبين الحركة الإسلامية فقط، وإنما بين الأمة والمجتمع من ناحية والدولة من ناحية أخرى.

مسألة العنف في مصر وحتى في الجزائر مقصورة على فئات محدودة انفجرت في أجواء التوتر التي صنعتها الدولة عندما غيبت الحريات، أقول لك إن أغلب أعضاء شورى جبهة الإنقاذ ذهبوا إلى بيوتهم. ولكن شبانا ثائرين متمردين خرجوا إلى الجبال تعبيراً عن حالة التوتر التي سادت مع الانقلاب العسكري ومع غياب الحريات. وأنا لا أرضى بحالة الحرب الأهلية ولا بحالة الإرهاب والعنف المضاد.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx